خطبة عيد الأضحى المبارك ,بعنوان:

((أسباب السعادة))

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره, ونعوذ بالله من شرور أنفسنا, وسيئات أعمالنا ,من يهده الله فلا مضل له, ومن يضلل فلا هادي له , وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون}[آل عمران:102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ الله الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:1]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }[الأحزاب:70-71]

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله, وخيرَ الهدي هديُ نبينِا محمدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ, وشرَ الأمورِ محدثاتُها, وكلَ محدثةٍ بدعة, وكلَ بدعةٍ ضلالة, وكلَ ضلالة في النار.

عباداللهِ..

يقول ربنا في كتابه الكريم : {قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُون}[يونس:58]

فحُقَّ لكل مسلم أن يفرح بهذا اليوم العظيم , وأن يفرح بذكر الله العزيز العليم, وأن يفرح بطاعة الله الرؤف الرحيم, وأن يفرح بهذا اليوم الذي جعله الله من شعائر الدين, وأن يتقرب بالنحر والذكر والصلاة لرب العالمين .

عباد الله ..

إن الملايين من المسلمين في يوم أمسِ المبارك قد وفقوا في عرفات, وقضوا الركن الأكبر من مناسك الحج,وعُتقت فيه رقاب عديدة,وغفرت فيه ذنوب كثيرة,وشاركهم المسلمون الذين خارج عرفات بصيام هذا اليوم العظيم,وأمسكوا عن تقصير أو حلق شعورهم ,و وتقليم أظافرهم تعظيمًا لهذا اليوم ,وامتثالًا لأمر ربهم,واستعدادًا لنحر أضاحيهم في يوم عيدهم, وهو هذا اليوم العظيم.

وقد جعل الله عقب يوم عرفة عيدا للمسلمين ,وهو يوم الحج الأكبر, وهو خير أيام السنة, فكيف لا يفرح المسلم بمثل هذين اليومين؟ " {قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُون}[يونس:58]

فهذا هو الفرح الحقيقي ,وهوالفرح الشرعي,الذي يفرح به المسلم لا الفرح بالمعاصي والمخالفات.

فإن الكفار يفرحون بأعيادهم وهي أعياد شرك وخرافات ومعاصي , والمسلمون يفرحون بأعيادهم لأنها عبادات وتشتمل علي الطاعات{قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ}

عباد الله ..

إن سعادة العبد تدوم بطاعته لربه ,والاستمرار على ذكره وشكره وحسن عبادته .

وبالذنوب والمعاصي يفقد العبد السعادة, وتحل به الهموم والتعاسة,في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: { فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى* وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى} [طه : 123 - 126].

فمن تمام الفرحة والسعادة المداومة على ذكر الله تعالى ,قال تعالى:{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } [الرعد : 28]

فاجعلوا أيامكم كلها أعياد وذلك بطاعة رب العباد .

قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ " كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد, كل يوم يقطعه المؤمن في طاعة مولاه و ذكره و شكره فهو له عيد"اهـ

وقال ابن رجب ـ رحمه الله ـ :"مر قوم براهب في دير فقالوا له : متى عيد أهل هذا الدير ؟ قال : يوم يغفر لأهله ليس العيد لمن لبس الجديد إنما العيد لمن طاعاته تزيد ليس العيد لمن تجمل باللباس و الركوب إنما العيد لمن غفرت له الذنوب في ليلة العيد تفرق خلق العتق و المغفرة على العبيد فمن ناله فمنها شيء فله عيد و إلا فهو مطرود بعيد"اهـ

فالاستجابة لله ولرسوله حياة للقلوب, وقربة إلى علام الغيوب, والبعد عن كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شقاوة للقلوب وسبيل إلي التعاسة والكروب .

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُون} [الأنفال:24]

فبعض الناس يشكو من الضيق في صدره, والقساوة في قلبه,فإذا فتَّشتّ عن حاله وجدته بعيدًا عن طاعة ربه ,غارقا في شهواته وملذاته, منهمكًا في دنياه وغفلته, مسرفًا في ذنوبه وزلاته .

ولم يدر هذا المسكين أن علاجه في طاعة ربه,وفي الأعمال الصالحة ,التي هي حياة لقلبه.

قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون}[النحل:97]

فهذا هو سبب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة قال تعالى:{وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج : 77]

فتقوى الله هو المخرج من الهموم والغموم والفقر والكربات ,قال تعالى: { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِب }

فمن وفقه الله لطاعته فهو الموفق, ومن حرم من ذلك فهو المحروم,قال تعالى: {فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ

يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُون}[الأنعام:125]

فكيف يرجو السعادة رجلٌ لا يعرف بيوت الله ؟, وهي بيوت الأتقياء ودور السعداء ومحل السكينة والطمأنينة ,فكيف ترجو السعادة لمن يتهاون بالصلاة ؟وهي أساس الرحمة ومفتاح السعادة, فلقد كان نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا حزبه أمر أو أهمه شيء أو أشكل عليه, فزع إلى الصلاة ويقول :" أرحنا بها يا بلال " فقد روى أبو داود عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ: قال :كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا حَزَبَهُ أمرٌصَلَّى"

فلقد كانت الصلاة قرة عينه ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

والله تعالى يقول في كتابه الكريم :{ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر : 97 - 99]

الشاهد أن العبد إذا ضاق صدره وأصابه الغم فزع إلى الذكر والصلاة:{ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ}

فلا سعادة لتارك الصلاة, ولا سعادة للبعيد عن الله, وعن سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

فلسيت السعادة بارتكاب الذنوب والمعاصي , وليست السعادة بجمع الأموال والدراهم والدنانير, وإنما السعادة بفعل العبادة .

ولست أرى السعادة في جمع مالٍ*** ولكنَّ التقــيَّ هو الســـعيد

فلقد بحث عن السعادة أناسٌ في شرب الخمور , والسفر إلى بلاد التبرج والسفور, وأرض الخنا والفجور, فلم يجدوها, بل لم يزدادوا إلا ضيقًا وشقاوة, ولم تورثهم إلاغمًا وكآبة ,وهمًا وتعاسة.

وبحث عن السعادة أناسٌ في طلب المناصب والوزارات فلم يجدوها, بل زادت عليهم المسؤليات وتكاثرت عليهم التبعات ,فأصيبوا بالهموم والكربات.

وبحث عنها أناس في جمع الأموال والتجارات فلم يجدوها , بل بعضهم لم يزدد بها إلا ضيقًا وبعدًا, وشقاءً وتعاسةً ,حتى وصل الحد ببعضهم إلى

الانتحار, مع كثرة أمولهم, ورغد عيشهم, وحسن مساكنهم, ينكحون النساء الجميلات, ويركبون المراكب الفارهات, ويسكنون القصور الشاهقات, لكنهم غير راضين بهذه الحياة؛ لأنهم يفتقدون شيئًا في صدورهم وهو الإيمان الذي هو سبب السعادة,فبسبب بعدهم عن الله حلت بهم التعاسة,فلا حياة للقلوب إلا بالاستجابة لعلَّام الغيوب ,كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُون} [الأنفال:24]

.

إذن إن السعادة تكون بالإيمان والأعمال الصالحة ,ويكون بالقناعة بالقليل, والاستعداد ليوم الرحيل, فهذا هو عنوان الفلاح .

فقد روى الإمام مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ـ رضي الله عنهما ـ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ، قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»

فالإسلام هو رأس السعادة, والقناعة من أسباب السعادة, بينما الطمع والحرص على الدنيا من أسباب الضيق والهموم, فمن رزقه الله القناعة والأمن, وعنده ما يكفيه فهو سعيد.

فقد روى الترمذي عن عبد الله بن محصن الخطمي ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-:« مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا ».

جاء عن إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله ـ أنه كان على حافة نهر الأردن فأكل كسيرات من الخبز مبلولة بالماء ثم قال لأبي يوسف :"لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا عليه بالسيوف.. وقال له أبو يوسف ـ رحمه الله :": طلب القوم الراحة والنعيم فأخطأوا الطريق المستقيم" اهـ

يقول هذا مع قلة ذات اليد, وشغف العيش, ويأكل الخبز الناشف مع الماء, لكنه الإيمان يصنع العجائب, فالسعادة هي حلاوة الإيمان التي يجدها العبد في طاعة ربه, وهذه الحلاوة هي: استلذاذ الطاعات بالقلب وسكينة الجوارح,

وهذه السعادة التي يجدها المؤمن في الدنيا تقوده إلى سعادته في الآخرة ,فهي امتداد لها .

قال بعض العارفين : "إنه ليمر بالقلب أوقات ـ يعني من السعادة والطمأنية ـ إن كان أهل الجنة في مثلها إنهم لفي عيش طيب"اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:" إن في الدنيا جنة هي كالجنة في الآخرة فمن دخلها دخل تلك الجنة"اهـ يريد الطاعة والإيمان ومجالس الذكر.

فالعيد الحقيقي هو أن يعمر العبد أوقاته بطاعة علام الغيوب, العيد هو أن تغفرله الذنوب,وليس العيد بارتكاب المعاصي الذنوب,العيد هو حينما يرى المؤمن مقعده في الجنة,ويسكن تلك الدور,ويتزوج من تلك الحور,ويشرب ما لذ من الشراب والخمور,ويأكل ما اشتهت نفسه من لحم الطيور,ويتمتع بالنظر إلى العزيز الغفور, نسأل الله من فضله.

فارفع بذلك رأسًا, وازدد بذلك فرحًا, وإياك ـ أيها المسلم ـ أن تفرح بالمعاصي والملاهي, فهذا هو فرح البطرين الذين قال الله فيهم:{ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِين}[القصص:76]

وقال: {ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُون}[غافر:75]

مر أحد الصالحين بقوم يلهون ويلعبون فرحين مرحين فقال ":إن كان الله قدغفرلكم فما هذا عمل الشاكرين, وإن كان لم يغفر لكم فماهذا عمل الخائفين"اهـ بمعناه

نسأل الله أن يفرحنا بطاعته,وأن يسعدنا بمغفرته, وأن يكرمنا بجنته ,وأن ينجينا من ناره, اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

عباد الله..

ضحوا تقبل الله ضحاياكم,واتقوا الله في هذه البهيمة ,وفي هذه النعمة التي سخرها الله لكم, وجعلها منقادة غير متوحشة,وأحل ذبحها وإراقة دمها والتقرب بها وأكل لحمها,أخلصوا لله فيها,وأحسنوا في ذبحها وأرفقوا بها,وتصدقوا من لحمها على من لا أضحية عنده,وتجنبوا البدع والمخالفات

فيها,فإنها قربة لله تعالى,ليس تملكون غير ذبحها والأكل والصدقة والهدية منها,تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.